

الوضع السكاني لمدينة البصرة وأثره في تخطيطها العمراني لعام ٢٠٠٣

المدرس الدكتور
عباس عبد الحسن كاظم
كلية التربية - جامعة البصرة

المقدمة :

تعد دراسة السكان المجال الحيوي والمحور الرئيسي الذي تنبثق منه الكثير من الدراسات الديموغرافية والاجتماعية والبيئية والاقتصادية ولاسيما الدراسات المتعلقة بعمليات التخطيط المختلفة. فمن المعلوم عندما توضع الخطط والسياسات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية يتطلب ذلك دراسة مفصلة ومبسطة وعلمية للسكان من حيث الخصائص الديموغرافية لكون العنصر السكاني هو العنصر المتغير باستمرار. وبناء على طبيعة العلاقة بين الدراسات السكانية والتخطيط العمراني يهدف هذا البحث إلى إظهار اثر المتغير السكاني على التخطيط العمراني كنوع من الدراسات التي تعنى بتخطيط المدن وذلك من خلال دراسة خصائص السكان وخصائص بيئتهم السكنية في مدينة البصرة. خارطة (١). ومدى توافق مخطط واستعمالات الأرض مع الأسس العلمية وإظهار العوامل التي أثرت على تخطيط مدينة البصرة وتطورها العمراني للوصول إلى أهم النتائج والنهوض بمستوى تخطيط افضل إذ يقوم التخطيط العمراني بتخطيط المدن على اعتبار ان المدن بخصوصياتها السكانية والاجتماعية والاقتصادية والطبيعية جزء لا يتجزأ من الإقليم العام وهنا تأتي ضرورة توفير المستلزمات الضرورية لديمومة الحياة في المدينة بكل مواصفاتها ليشعر فيها الإنسان بالرضا والراحة لان هدف الأفراد والمؤسسات والمخطون لشؤون المدن هو توفير بيئة سكن ملائمة لحياة مريحة يعيشها الإنسان بهدوء وسعادة.

من الطبيعي ان دراسة المدينة أية مدينة لا تتكامل دون تغطية مؤشراتها السكانية، فهذه المؤشرات تشكل الجانب الدايميكي في عملية التحضر واستيطان المدن، لهذا فان ما يمكن استخلاصه من أرقام أوردها التعدادات السكانية خلال نصف قرن فضلا عن الدراسة الميدانية ستكون مؤشرا قياسا لاتجاهات وخصائص سكان مدينة البصرة. وهي كالآتي:-

النمو السكاني للمدينة :

لقد شهدت مدينة البصرة خلال ربع قرن نمو سكانيا" لا يمكن ارجاعه الى الزيادة الطبيعية وحسب ، بل الى الهجرة الداخلية اليها ومن الطبيعي ان هناك عوامل اخرى لازمت هذين العنصرين وكان لهما التأثير المباشر وغير المباشر في ارتفاع حدتهما معا" . أوفي ارتفاع حدة احدهما دون الاخر وبالعكس ، حيث ان معرفة عدد سكان المدينة ومعدلات نموهم السنوية مما يعطي صورة واضحة عن التغيرات التي تحصل في الهيكل العمراني للمدينة بقطاعاته الوظيفية المختلفة لان نمو السكان يعد احد اهم النمو الحضري والعمراني للمدينة (الزهري ، ١٩٩٨ ، ص٣٧) .

اما عند متابعة مسيرة النمو السكاني لمدينة البصرة خلال السنوات المدرجة في جدول (١) يتضح لنا بان معدل النمو السكاني قد بلغ في الفترة ١٩٧٧-١٩٨٧ نحو (٣ر٠٠٤%) وهو اقل من المحافظة بنمو (١ر٠٠٤%) ويعود هذا الانخفاض في معدلات النمو لكلاهما بسبب الهجرة المؤقتة من اثار الحرب العراقية-اليرانية والبالغة (٣٦٤٤٧٨) نسمة حيث بلغ صافي الهجرة من المحافظة للعام ١٩٨٧(-٣٠٥٢٦٨) نسمة (العثمان ، ٢٠٠٢ ، ص٣١) بينما ارتفع معدل النمو في الفترة ما بين ١٩٨٧-١٩٩٧ الى (٢ر١%) وهو اقل من معدل النمو السكاني للمحافظة والبالغة (٦ر٠%) واستمر الارتفاع في معدل النمو للمدينة والمحافظة ما بين عام ١٩٩٧-٢٠٠٣ حيث بلغ (٣.٥%) و(٦.٢%) على التوالي

يتضح مما سبق ان عدد سكان مدينة البصرة على مدى اكثر من ربع قرن قد قفز الى اكثر من (٤٥٢١٠٢) نسمة عام ١٩٧٧ الى (٧٢٠٧٥٨) نسمة عام ٢٠٠٣ وذلك بمعدل نمو سنوي يبلغ (%) مما جعل المدينة تتوسع عمرانيا" بصورة افقية ، فبعد ان كانت عدد الوحدات السكنية لعام ١٩٧٧ بحدود (٥٥٧٥٣) وحدة سكنية وفي عام ١٩٨٤ بلغت عدد الوحدات (١١٣)

السكنية اكثر من (٨٠٠٠٠) وحدة سكنية أي بزيادة (٢٤٢٤٧) وحدة سكنية وصولاً الى عام ٢٠٠٣ وبواقع (٨٣٦٥٦) وحدة سكنية وقد رافق هذه الزيادة في اعداد الوحدات السكنية الى التوسع في الرقعة الحضرية في مدينة البصرة (خارطة ٢) .

جدول (١)
نسبة معدل النمو السكاني في مدينة البصرة
١٩٧٧-٢٠٠٣

| معدل النمو السكاني | | اجمالي السكان | السنة |
|--------------------|-------|---------------|------------|
| محافظة | مدينة | | |
| --- | ---- | ٤٥٢١٠٢ | ١٩٧٧ |
| ١٤- | ٣٤ | ٣٦٢١٤٣ | ١٩٨٧-١٩٧٧ |
| ٦٠ | ٢١- | ٦٥٨٧٦٠ | ١٩٩٧-١٩٨٧ |
| | | ٧٢٠٧٥٨ | ٢٠٠٣-١٩٩٧ |
| | | | *٢٠٠٣-١٩٧٧ |

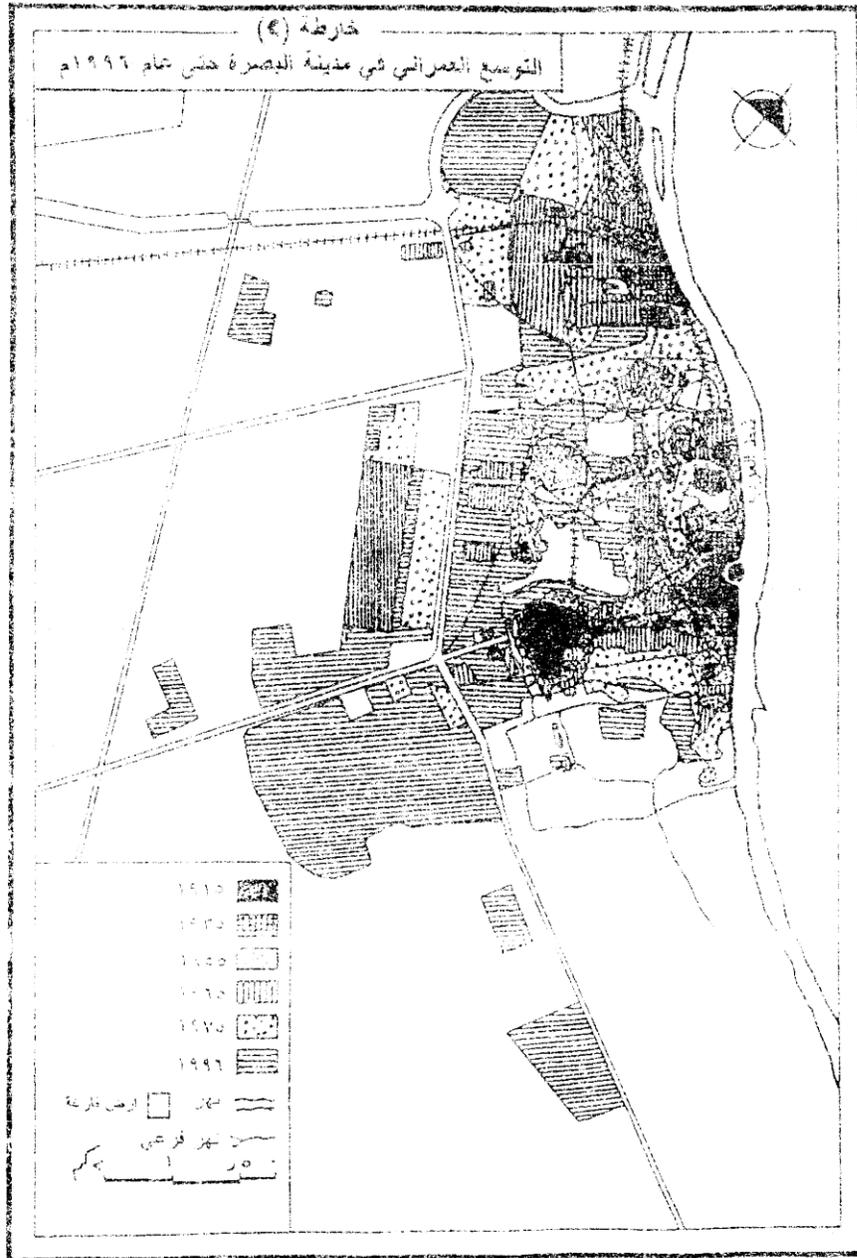
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على التعداد العام لسكان العراق للاعوام ١٩٧٧، ١٩٨٧، ١٩٩٧
*حسبت من قبل الباحث بالاعتماد على سنة الاساس ١٩٧٧-١٩٩٧ وفق المعادلة التالية :-
 $L = A + (N - 1)D$ حيث ل = حجم السكان في التعداد اللاحق

ن عدد السنوات بضمنها سنة التعداد أ حجم السكان في التعداد الاول

د المقدار الثابت للزيادة السكانية مقدار الزيادة السنوية = ١٠٣٣٣

ينظر : عبد الحسين زيني واخرون ، الاحصاء السكاني ، الطبعة الاولى ، دار المعرفة ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ١٤٧ .

فبعد ان كانت لا تزيد عن ٢كم٣٥ عام ١٩٥٧ (المظفر ، ١٩٩٦ ، ص٢٢٨) فانها بلغت ٢كم١٩٤ لعام ٢٠٠٣ (التخطيط العمراني ، ٢٠٠٣) وقد ادت هذه الزيادة بالرقعة الحضرية والسكان الى ظهور احياء جديدة نتيجة لتوزيع الاراضي السكنية على المواطنين



مصدر: اعداد الباحث بالاعتماد على: حامد تركي ميكل، تذيير النسيج الحضري لمدينة البصرة في القرن العشرين، رسالة ماجستير، مركز التخطيط الحضري والاقليمي، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٠، ص ٩٥.

مثل حي الخليج العربي والرشيد والامن الداخلي والضباط والاصدقاء والمهندسين وحي السلام والانتصار. فضلا عن توسع الاحياء القديمة مثل حي الهادي والابله والجمهورية والعشار والنصر ، أي بصورة عامة ادى نمو المدينة الى تكوين احياء سكنية مختلفة الصفات والكثافات حيث تتميز المحلات الواقعة في المدينة القديمة وبعضها في حي الحسين والجمهورية والهادي لكثافتها السكانية العالية وبدورها السكنية التقليدية القديمة واهذا انعكست الزيادة السكانية العالية والمحلات السكنية بدورها الى الحاجة المتزايدة في لخدمات المختلفة وهذا ادى الى الطلب المتزايد الى انشاء وحدات سكنية جديدة مما جعل توجه القطاع العام والخاص الى قطاع السكن وبناء المساكن والتوسع في استعمالات الارض الحضرية الاخرى مما استحوذت الاستعمالات الارض السكنية على مساحة واسعة من الهيكل العمراني للمدينة لتلبي الطلب المتزايد على الوحدات السكنية ولكن بنفس الوقت لم يرافق هذا التوسع تقدم ملحوظ في البنية التحتية مما انعكس سلبا على واقع المدينة وتخطيطها العمراني . وبناءا على المعلومات السابقة من الواجب ان تبدأ اجهزة التخطيط العمراني في تحديد توجيهات العمرات بالمركز الحضري ، اما بتخطيط التجمعات السكنية ضمن المخطط العام للمركز مع توفير الخدمات ضمن تدرج هرمي مدروس يشمل الاحياء المختلفة لهذا المركز (في حالة المراكز الجديدة) او باستيعاب الاعداد المتوقعة من السكان او ضمن مناطق الاسكان القائمة او في امتدادات جديدة يحددها الاطار العام لمخطط المركز الحضري وحسابات الاستيعاب هذه ضمن اعداد الوحدات السكنية المطلوب توفير مواقع لها اما داخل حدود العمران أي ضمن الرقعة الحضرية لمدينة البصرة او في المناطق الجديدة أي خارج حدود التصميم الاساسي للمدينة وبالتاكيد ان عدد هذه الوحدات يرتبط باحجام الاسر وعدد افرادها كما ان مساحتها يتم حسابها على الانماط المختلفة من المباني وتوزيع كثافتها يرتبط بتوجيهات العمران واستعمالات الارض وحركة المرور والنقل بين مختلف مواقع استعمالات الارض الحضرية لمدينة البصرة .

التركيب العمرى والنوعى للسكان

يبين التركيب العمرى للسكان عدد ونسبة كل مجموعة من مجموعات السكان موزعة على فئات السن ويتوقف ذلك على معدلات المواليد والوفيات والهجرة التي تعرض لها

المجتمع وبهذا يعتبر التركيب العمرى والنوعي سجل انعكست عليه الكثير من الحقائق عبر التاريخ الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والديموغرافى لافراد المجتمع والاحداث الهامة التي تمت بة (العثمان ، ٢٠٠٢ ، ص ٦٧) ومن الطبيعي ان يختلف التركيب العمرى والنوعي حسب فئات السن المختلفة كما يوضحها الجدول (٢) ومن هذا الجدول يبدو أن المجتمع السكاني في المدينة بل والمحافظه باكملها فتى وعن طريق دراسة الفئات العمرية الرئيسية للمدينة يمكن ان ندرك الحقائق الآتية :-

١-ارتفاع نسبة السكان لهذه الفئة صغار السن(٤ اسنة)حيث بلغت ٤٠.٠% من مجموع سكان المدينة وهي اقل من نسبتها في المحافظة اذ بلغت ٤٢.٩% في حين بلغت نسبة النوع للمدينة ١٠.١ ذكر لكل أنثى وهي اعلى من المحافظة والبالغة ١٠.٠٦ ذكر لكل أنثى وتمثل هذه الفئة تأثيرا" بعاملي المواليد والوفيات مما يجب على القائمين بالتخطيط الارتقاء بها الى أعلى مستويات التخطيط لان تقدير الاحتياجات بواسطة التخطيط يرتبط بالنمو السكاني والمتغيرات التي تحدث في شكل الهرم ونسبته وتوزيعاته العمرية وحركة السكان .

٢-اما بالنسبة الى الفئة الثانية وهي فئة الشباب ١٥ - ٦٤ سنة والتي شكلت ٥٤.٧% من مجموع سكان المدينة وهي اعلى من نسبتها في المحافظة البالغة ٥٢.٨% اما بالنسبة لنوع الافراد فقد بلغت نسبة هذه الفئة ٩.٨٠ ذكر لكل انثى للمدينة وهي اعلى من نسبة النوع للمحافظة والبالغة ٩.٦٦ وتعد هذه الفئة العمرية الاكثر اهمية في المجتمع حيث نمو السكان واعتبارها الفئة المنتجة اقتصاديا" ومن اعالة باقي الفئات مما تطلب ذلك توفير المستلزمات الضرورية لها وبالاخص الزيادة في اعداد الوحدات السكنية من حيث التوسع في البناء من قبل الدولة . واعطاء القروض والمنح وتوفير ودعم مستلزمات المواد الانشائية المختلفة وتوزيع قطع الاراضي لكون العديد من افراد هذه الفئة ليس لديهم دار سكنية ملك اذ يتبين من الدراسة الميدانية بانهم حصلوا على نسبة (٥٧%) من مجموع افراد العينة الذين يملكون دار سكنية وعلى نسبة (٣١%) ممن يسكنون في دار سكنية مؤجرة من عينة الدراسة أما الذين يسكنون في مساكن تابعة للدولة فبلغت نسبتهم (٤%) من مجموع

افراد العينة، اما النسبة المتبقية (٨%) فهي غير معلومة هي الاخرى وهم الذين في أمس الحاجة الى سكن مريح لكونهم يعانون من الانخفاض الحاد في المستوى الاقتصادي لرب الاسرة .

جدول (٢)

الفئات العمرية ونسبة النوع حسب تقدير سكان
مدينة البصرة والمحافظه لعام (٢٠٠٣)

| الفئة العمرية | المدينة | | | المحافظة % | نسبة النوع | |
|------------------|---------|--------|--------|---------------|------------|-------|
| | ذكور | اناث | مجموع | | % | مدينة |
| ١٤-٠ | ١٤٥٤٨٧ | ١٤٢٨١٤ | ٢٨٨٣٠١ | ٤٠ر٠ | ١٠١ر٨ | ١٠٠ر٦ |
| ١٥-٦٤ | ١٩٨٩٨٣ | ٢٠٨٣٦٢ | ٤٠٧٣٤٥ | ٥٦ر٥ | ٩٥ر٤ | ٩٤ر٠ |
| ٦٥ فأكثر | ١٠١٦٢ | ١٤٩٥٠ | ٢٥١١٢ | ٣ر٥ | ٦٧ر٩ | ٧٣ر١ |
| المدينة | ٣٥٤٦٣٢ | ٣٦٦١٢٦ | ٧٢٠٧٥٨ | %١٠٠ | ٩٦ر٨ | ٦٩ر٠ |

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على تعداد عام ١٩٧٧ - ١٩٩٧ كسنة أساس لاستخراج تقدير السكان حسب الفئات العمرية والنوعية للمدينة والمحافظه .

٣- شكلت لفئة كبار السن ٦٥ سنة فأكثر نسبة منخفضة في مدينة البصرة والمحافظه بلغت ٣ر٥% أما نسبة النوع فقد بلغت ٧١ر٦ ذكر لكل ١٠٠ أنثى في المدينة مقابل ٧٤ر٣ ذكر لكل ١٠٠ أنثى في المحافظه انها هذا الانخفاض في نسبتها بالمقارنة مع اجمالي السكان يجعلنا بنفس الوقت الاهتمام بافراد هذه الفئة بالدرجة الأساس في مختلف مستلزمات حياتهم فما توفر في الأساس السكن المريح وذى المواصفات التخطيطية والعمرانية المناسبة والمطابقة مع المعايير العالية ، ولكن كذلك من خلال الملاحظة الميدانية للباحث يعاني الكثير من افراد هذه الفئة من مشاكل عدم استطاعة الغالبية منهم الحصول على الوحدات السكنية لقله دخل العديد منهم .

يتبين مما تقدم ان دراسة الفئات العمرية والنوعية التي يمر بها سكان مدينة البصرة يعد امرا " مهما" لتهيئة مشاريع الاسكان والخدمات المختلفة التي يحتاجونها دون تأثير ذلك على التخطيط العمراني للمدينة من حيث اللجوء لبعض العوائل للسكن العشوائي والاسكان المشوه* وهذه الوحدات السكنية المتفرقة في مدينة البصرة والتي زادت اعدادها بعد الحرب وسقوط النظام في ٢٠٠٣/٤/٩ تتميز نوعية اغلبها لا تحمي من برد أو حر وتخالف الشروط الصحية وتبنى المساكن بهذه الصورة لقلّة التكاليف التي تحتاج اليها .

وبوجه عام فإن وجود هذه الوحدات السكنية العشوائية داخل المدينة أو في ضواحيها أو أطرافها مما يخلق مجموعة من المشكلات التخطيطية المختلفة والتي سوف تؤدي بدورها الى تدهور البيئة الحضرية في المدن مما ينعكس أثارها على التندي في مستويات الخدمات والمرافق الاجتماعية العديدة .

المستوى التعليمي للسكان :

تكمن اهمية دراسة المستوى التعليمي للسكان في كونها تعبر عن المستوى المعيشي والاجتماعي والثقافي للسكان ومقياسا للتنبؤ بالاتجاهات التعليمية والمستقبلية ووضع الخطط والبرامج لها وارتباطها بمختلف جوانب الحياة ولا سيما الجانب المتعلق بموضوع هذا البحث حيث ان المستوى التعليمي للفرد او الكيفية التي يختار فيها طريقة المهني في الحياة لا يمكن الاستغناء عنها لكونه يسعى الى حياة افضل وان تطوير القابليات الانسانية المختلفة ووضعها في افضل صورة ممكنة من الامور الهامة جدا" لأنها تجعله في حالة انتاجية افضل لصالح المجتمع .

*وهي احتلال الاراضي الحكومية والمهجورة سعيا" وراء أيجار مساكن لهم مستخدمين بذلك الموارد المتوفرة لهم أيا" كان نوعها (الطين أو الخشب أو البلوك أو الصفائح)

جدول (٣)

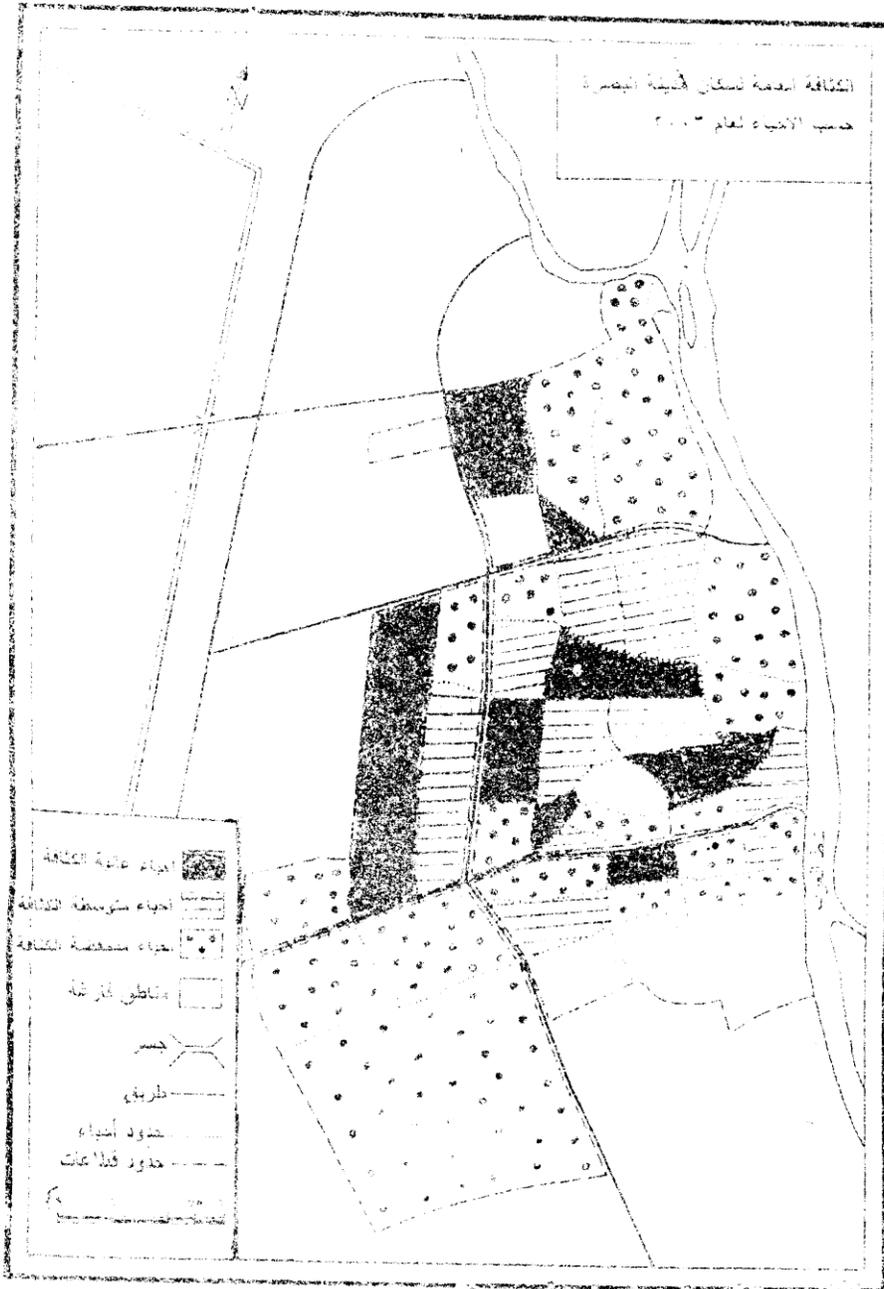
الكثافة العامة لأحياء مدينة البصرة - حسب تقدير سكانها لعام ٢٠٠٣

| رقم الحي | مساحة الحي (م ^٢) | عدد السكان | الحي | الكثافة (سكان/م ^٢) | عدد السكان | مساحة الحي (م ^٢) | الكثافة (سكان/م ^٢) |
|----------|------------------------------|------------|---------------|--------------------------------|------------|------------------------------|--------------------------------|
| ٤٠٤ | ١٥١٧٥ | ٢٩٥ | العباسي | ٩٨ | ٣١٣٨ | ٣٢٠ | الإصفاة |
| ٥١٦ | ١٤٧١٨ | ٢٨٥ | السلام | ١٢٣ | ٧٨٧١ | ٦٣٥ | الميثاق |
| ٥٢٧ | ٣٠١١٩ | ٥٨٠ | الخضج العربي | ١٣٥ | ٦٧٥٧ | ٥٠٠ | المتنزة |
| ٥٢٨ | ١٢٩٥٩ | ٢٤٥ | العلمار | ١٣٦ | ٤٤٩١ | ٣٣٠ | الرافدين |
| ٥٤٧ | ٢٩٥٧٦ | ٥٤٠ | الإنصاف | ١٥٣ | ٥٢٢٩ | ٣٤٥ | الدرامة |
| ٦٢٢ | ٣٥٧٥٩ | ٥٦٥ | الزليخة | ١٨٥ | ١٢٤٨٨ | ٦٧٥ | التفاحيات |
| ٦٧١ | ٧٠٥٥ | ١٠٥ | الغرايبدي | ٢٠٣ | ٨٦٥٠ | ٤٢٥ | الربيع |
| ٦٨٨ | ٥٨٥١ | ٨٥ | البريهة | ٢١١ | ٥٨٣٩٤ | ٢٧٥٥ | الرشيد |
| ٦٩١ | ٢٤٥٦٠ | ٣٥٥ | عتبة بن غزوان | ٢٤٢ | ٢٩٨٢ | ١٢٣ | الزهور |
| ٧٢٩ | ٢٢٢٣٨ | ٤٠٥ | الموقفية | ٢٤٣ | ٣٢٨١ | ١٣٥ | عمان |
| ٨٠٥ | ١٥٢٩٩ | ١٩٠ | النصر | ٢٤٤ | ٢٩٢٨ | ١٢٠ | ١٤ رمضان |
| ٨٨٣ | ٢٨٢٨٦ | ٣٢٠ | النهدي | ٢٥٨ | ٢٦٣٥ | ١٠٢ | خالد بن الوليد |
| ٩٠٧ | ٢٦٣٠٧ | ٢٩٠ | الإصمعي | ٢٧٥ | ١٨٠٧٤ | ٦٥٥ | المهفلد |
| ٩٧٦ | ٩٧٦٢ | ١٠٠ | الرسالة | ٢٩٩ | ٥٣٨٩ | ١٨٠ | السامي |
| ١٠٢٥ | ١٢٨٤١ | ١٣٥ | الزهراء | ٣٤٢ | ١٧٤٦٦ | ٥١٠ | الاسن الداخلي |
| ١١٠٤ | ١١٥٩٥ | ١٠٥ | العامل | ٣٨٢ | ٨٧٩٢ | ٢٣٠ | سعد بن أبي وقاص |
| ١١٣١ | ٣٤٧٢٦ | ٣٠٧ | الشعلة | ٤٠١ | ٩٢٣٤ | ٢٣٠ | الصبور |
| ١١٤١ | ١٠٠٤٣ | ٨٨ | التسمية | ٤٢٢ | ١٣٤٨٩ | ٣١٩ | القاسمية |
| ١٢٣١ | ١١٦٦٩ | ٩٥ | المحارب | ٤٢٨ | ٩٨٤٥ | ٢٣٠ | المهذب |
| ١٤١٤ | ٢٠٥٠٤ | ١٤٥ | التحرير | ٤٣٠ | ١٤٤٣١ | ٣٣٥ | الفرحاء |
| ١٥٠٢ | ٣١٥٥٧ | ٢١٠ | الجمهورية | ٤٣٣ | ٨٦٦٧ | ٢٠٠ | صنعاء |
| ١٧٨٤ | ١٢٢٤٠٦ | ٦٨٦ | حي الصين | ٤٤٤ | ٥٢٢١ | ١١٥ | الجزائر |
| | | | | ٤٧٥ | ٥٧١٠ | ١٢٠ | القاهرة |
| | | | | ٥٠٢ | ١٢٠٥٤ | ٢٤٠ | الختيراد |

المصدر: سجل الهاتف، بالاعتماد على تعداد قلعم للسكان لعام ١٩٩٧، ١٩٩٧ لاستخراج تقدير السكان لعام ٢٠٠٣

* اعتمدت المساحة من قبل الباحث بطريقة الاستكمال الهندسية

خريطة (٣)



المصدر: جدول (٢)

تتميز مدينة البصرة بقلّة عدد الاميين والبالغة (١١٢%) اذ تبين من العينة التي اجريت على المجموعة العشوائية من السكان انما يزيد عن نصف مجموع السكان هم من حملة الشهادة الابتدائية والثانوية والبالغان (٥٤٢%) و (٢٦٨%) على التوالي بينما أظهرت الدراسة أن حملة الشهادة الجامعية لا تزيد عن (٥٠%) من مجموع العينة.

جدول (٤)
التوزيع النسبي لسكان مدينة البصرة حسب
المستوى التعليمي لعام ٢٠٠٣

| الحالة التعليمية | % |
|------------------|-----|
| أمي | ١١٢ |
| شهادة ابتدائية | ٥٤٢ |
| شهادة ثانوية | ٢٦٨ |
| شهادة جامعية | ٥٠ |
| أخرى | ٢٨ |

المصدر: الدراسة الميدانية.

مما تبين لنا ان نسبة المستويات التعليمية المتباينة تعكس كذلك سلبا" أوأيجابا" على الهيكل العمراني للمدينة وتوزيع السكان داخل المدينة ما بين احياء فقيرة شعبية واحياء راقية فضلا" عن وجود أحياء في مدينة البصرة النسبة العظمى من ساكنيها ذات الطابع المميز للناحية العلمية مثل احياء المهندسين والاطباء ودور الضباط والامن الداخلي والخليج العربي والجنينة والتي تم توزيعها على العاملين في قطاع التعليم وسكن أساتذة الجامعة وحي الكفاءات .

وبالتأكيد ان الاهتمام بالجانب العمراني في الحي من حيث طراز البناء وتخطيطه العمراني المطابق للشروط المعمارية والصحية وانظمة شوارعها . ومدى نظافة الحي السكني يظهر بصورة واضحة ممن يتمتعون بالمستوى التعليمي المرتفع حيث ان تحصيلهم العلمي يعكس

مستوى دخلهم الذى يسمح له بالسكن في الناطق الملائمة لة ولمنزلة الاجتماعية بينما ذوي التحصيل العلمي المنخفض لا يميلون الى ذلك . علما" بأن هذا لا ينفي عدم وجود ارباب أسر ممن هم دون المستوى التعليمي المنخفض لا يسكنون في الاحياء الراقية خاصة اذ كانوا من التجار او ذات المستوى الاقتصادى المرتفع ومع ذلك فان رب الاسرة وعائلة تحاول الانسجام ومتطلبات السكن في الحي الراقى والمتميز

الانتقال السكني وأثرة على التخطيط العمراني للمدينة :

يقصد بالانتقال السكني او الحراك السكني هو تغير المسكن او مقر الإقامة داخل الحيز الحضري بحيث لا يتجاوز التحرك في بعض الاحيان سوى شارع واحد وهي انتقالات لا ينتج عنها في الغالب تغير في مقر العمل حيث ان للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية الاثر الكبير للحركة السكانية داخل المدينة بغية تحسين ظروف السكن من مناطق تفقرالى خدمات مختلفة الى مناطق افضل منها وان ظاهرة الانتقال السكني مستمرة طالما أن هناك تغيرات اقتصادية وهو على نوعان تبعا" للمستويات الاقتصادية والاجتماعية للسكان - الاول هو الحركة من الاعلى الى الاسفل وتحدث عندما تكون الظروف الاقتصادية صعبة والناجة عن التضخم وشيوع البطالة مما يؤدي التدهور العام الذى يصيب قطاع السكن والتشييد وتحدث في سائر المدن ولذوى الدخول الواطئة او المتوسطة على وجة التحديد ومنها (منطقة الدراسة) والحركة الاخرى من الاسفل الى الاعلى عندما تتحسن الظروف الاقتصادية والاجتماعية للسكان (الجلبي ، ٢٠٠١ ، ص١٤٠) أن هذه التحولات في المستويات الاقتصادية والاجتماعية مهدت لظهور افرازات بدأت ترسم حدودا" تراتيبية جديدة فقد شهدت مدينة البصرة تغيرات في الاوضاع الاقتصادية في السنوات الماضية ولحد اعداد هذا البحث كما في المدن الاخرى مما انعكس ذلك على الحراك السكني فيها مما ادى الى حدوث انتقال سكني بالاتجاه من الاعلى الى الاسفل وبالعكس مما انعكس على المظهر المعمارى للمدينة من حيث الطراز ومواد البناء او زيادة في اعداد الوحدات السكنية لا سيما اذا كان اتجاه الحراك نحو الاسفل ولهذا ظهرت حاجة الى انشاء المساكن خصوصا" للقادمين من خارج القطر . مما توجه العديد منهم الى شراء بيوت حديثة وباسعار مرتفعة او شراء

بيوت وتهديمها واعادة بناءها وفي نفس الوقت توجه اصحاب المساكن المباعة الى السكن في احياء اقل مستوى او شراء مساكن اقل سعرا" او اللجوء الى الايجار للاستفادة من مبالغ بيوتهم في سد حاجاتهم الاقتصادية ، وفي ناحية اخرى ظهرت فئة من السكان ذات دخول عالية مما ارتقوا في السلم الاقتصادي والاجتماعي ولا سيما العاملين في القطاع الخاص مما انعكس هذا على زيادة اعداد المساكن الحديثة المبنية في المدينة واختيار افضل المواقع بناءها كما في احياء (٤ ارمضان ، النصر ، الانتصار ، عمان ، العباسي ، الخضراء) وثمة دراسة^(*) تناولت هذا الجانب حيث أكد الباحث على وجود ثلاثة أقاليم في مدينة البصرة تبعا لمكانة الحي والمستوى المعاشي والاقتصادي والاجتماعي للسكان (اقليم الطموح ، النزوع ، الضعف) ففي اقليم الطموح الذي يشمل احياء (١٤ رمضان ، سعد بن أبي وقاص ، بريهة ، النصر) هناك ٢٩% من العينة لاهياء اقليم الضعف تتجة الى هذا الاقليم بينما شكل اقليم النزوع نسبة ٢٥% من افراد العينة المتجهين الى اقليم الطموح في حين شكلت نسبة العوائل الذين انتقلوا بين احياء اقليم الطموح نفسة ١٤% اما الذين جاءوا من خارج المدينة من الاقضية والنواحي الى هذا الاقليم بلغت نسبتهم ٣٠% من افراد العينة .

أما الاقليم الثاني فهو اقليم النزوع والذي يشمل احياء (الرسالة ، الامن الداخلي ، السلام ، الخليج العربي) فقد بينت نتائج البحث بان ٤٠% من افراد العينة جاءوا من اقليم الطموح و ٣٢% جاءوا من اقليم الضعف في حين شكلت نسبة العوائل الذين غيروا أماكن سكنهم ضمن احياء هذا الاقليم نفسة ٢٨% أما بالنسبة للعوائل التي جاءت من خارج المدينة الى اقليم النزوع فقد حصلت على نسبة ٣٤% .

شكل أقليم الضعف المرتبة الثالثة من أقاليم الدراسة والذي يشمل أحياء (الحسين ، الاصمعي ، التميمية ، الابلة) فقد حصل على نسبة العوائل التي جاءت من أقاليم الطموح وخارج المدينة ١٥% و ٣٦% على التوالي في حين بلغت نسبة الانتقال السكني للعوائل ضمن احياء هذا الاقليم ٤٨% من افراد العينة .

^(*) ينظر: ماهر يعقوب موسى، التحليل الجغرافي للوظيفة السكنية في مدينة البصرة ١٩٧٧-١٩٩٦ اطروحة دكتوراة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص ٧٥ .

من خلال ما تقدم نجد أن أغلبية أرباب الأسر قد قاموا بتغيير مساكنهم خلال المدة التي عاشوها في مدينة البصرة التي أمتد متوسطها الى أكثر من (٤٠ سنة) وهذا أمر طبيعي . إذ من المتوقع أن تتعرض كل عائلة خلال مدة معينة من الزمن لبعض التغيرات خاصة وان مدينة البصرة قد مرت بتغيرات كبيرة بدأت بتحسين مستوى الاسكان خلال السبعينات . ثم بدأت بالتأثير في هذا المستوى خلال الثمانينات والتسعينات بسبب ظروف الحروب والحصار الاقتصادي مما أدى الى زيادة تحركات السكان نحو المناطق السكنية الجديدة كما في أحياء المهندسين والاطباء والأمن الداخلي والاصدقاء والبلديات وحي الرشيد والتي اتسعت مساحتها وزاد عدد المنتقلين اليها نتيجة لزحف الخدمات ونشوء الاسواق مما أدى الى ازدياد العدد السكاني فيها .

نمط وحجم الأسرة:-

تعد الأسرة أكثر الظواهر الاجتماعية انتشاراً كونها الخلية الأولى في بناء المجتمع وهي الوسط الذي يربط ما بين الافراد والمجتمع على السواء وتعتبر الأسرة النوية أو الممتدة من المواضيع الهامة في دراسة اتجاهات السكان وقياساً للتغير الاجتماعي الذي أصاب المجتمع حول الأسرة وطبيعتها وانعكاساتها على الجوانب التخطيطية والعمرانية للمدينة حيث تبين للباحث من خلال الدراسة الميدانية بأن الأسرة الممتدة والتي تعني أنها أسرة مكونة من الزوج والزوجة مع وجود أفراد آخرين يعيشون معهم وترابطهم علاقة قرابة لتلك الأسرة أي تعدد اللعوائل داخل الأسرة الواحد هي الصفة الغالبة في مدينة البصرة والبالغ نسبتها ٧٣% من مجموع العينة للأسرة في مدينة البصرة . بينما الأسر المفردة والبسيطة المكونة من الزوج والزوجة واطفالهما شكلت نسبة ٢٧% على الرغم من كونها ظاهرة اجتماعية اخذه في الانتشار في الوقت الحاضر في مدينة البصرة .

أما حجم الأسرة والذي يعد من أساسيات تقدير نسبة الأعاالة وتقدير المستوى الاقتصادي للسكان ودرجة الازدحام للغرف والضائقة السكنية في المجتمع وانعكاساتها السلبية والايجابية على المظهر الخارجي والعمراني للوحدات السكنية حيث بلغ حجم الأسرة من خلال الدراسة الميدانية ٨ فرد لكل أسرة . وهذا يشكل بدورة ضغطاً على الوحدات السكنية

حيث أن ضيق المنزل وعدم كفاية الوحدة السكنية لمتطلبات العائلة وافتقار الوحدات السكنية على انواع محددة لا تتناسب مع احجام الأسر في مدينة البصرة مما يؤدي الى تشييد الجزء غير المبني من مساحة الأرض السكنية وأقامة طوابق مبنية من مواد مختلفة (أي حسب المستوى الاقتصادي لرب الأسرة) فوق سطوح المساكن وفي مساحة الاحياء السكنية وهذا يمثل في أغلب الاحياء الشعبية في المدينة منها حي الجمهورية وحي الحسين والهـادى والعامل والقادسية والشعلة والتحرير حيث تمتاز هذه الاحياء بالتركز السكاني الواضح والكثافة السكانية العالية جدول (٣) خارطة (٣) ووحدات سكنية ذات نمط عمراني متلاصق ونسيج عمراني متماسك وتظعى على تلك الدور السكنية صفة التجانس العمراني والاجتماعي بالمقارنة مع الاحياء الراقية والواسعة المساحة منها الربيع والجزائر والخليج العربي والاندلس والميثاق حيث تتسم بالنمط العمراني غير المتلاصق وذات الطراز الغربي الحديث ذات المواصفات المعمارية الجيدة ويصل تأثير ذلك على مستوى الخدمات لمختلف أنواعها وكان ظهور مثل هذا الاسلوب المعماري نتيجة التطورات الاجتماعية والاقتصادية العمرانية من القرن الماضي التي مر بها المجتمع العراقي بصورة عامة والمجتمع البصري (منطقة الدراسة) بصورة سريعة والتي أنعكس تأثيرها على التصاميم الحديثة للدور السكنية واصبح النمط العمراني فيها منفصلا" أذ صاحب هذا التطور حراك سكاني واجتماعي للطبقات العليا بينما بقيت المناطق القديمة ذات شأن تقليدي .

استعمالات الارض في مدينة البصرة:-

تمارس مدينة البصرة مختلف النشاطات الاجتماعية والاقتصادية التي تتوزع في المدينة وبأنماط متباينة وقد تظافرت عوامل عديدة على خلق صورة المدينة بوضعها الحالي . والتي هي في الوقت نفسه متغيرة مع الزمن بفعل زيادة النشاطات وعوامل متباينة أخرى وتتضمن استعمالات الارض في المدينة الاستعمال السكني والتجاري والصناعي والخدمي ، وتتنطبق نظرية النوى المتعددة على مدينة البصرة فالمدينة مكونة من نواتين (العشار ، البصرة القديمة) ومع النمو المستمر للمدينة بفعل عوامل اقتصادية وسكانية اتصلت النواتان

لتكونان وحدة عضوية متكاملة وقلت او تلاشت المساحات الفارغة بينهما من جراء النمو الحضري المتزايد للمدينة حيث ان حالة الصراع بين الوظائف تكاد تكون اقل تأثيراً نوعاً ما ، بسبب قدم المدينة واستقرار الوظائف فيها وهذا يتطلب متابعة التغيرات البطيئة التي حصلت في المدينة ومدى تأثير تلك العوامل والقوى التي تؤثر في عملية التوزيع والتي ظهرت الأنماط التي تتطابق مع نظرية النوى المتعددة ، فعن طريق دراسة هذه الأنماط واستخدامات الارض فيها يمكن التعرف على وظائف المدن الرئيسية والتي تنعكس على خصائص المساحة المبنية وحجمها وطبيعة مبانيها وموقعها وأحوال السكان فيها.

وعليه فان معظم المدن العالمية باختلاف أحجامها ووظائفها ومستوياتها ودرجاتها وتوجد بها هذه الاستخدامات الوظيفية ويلاحظ بوجه عام (وهذا ينطبق على منطقة الدراسة) ان الاستخدام السكني هو اكثر استخدامات الارض والذي يشغل اكبر مساحة في داخل المدينة ويضم جميع الأحياء السكنية الراقية واحياء ذوي الدخل المحدود ومن الجدول (٥) يلاحظ ان مساحة استعمالات الارض داخل مدينة البصرة تتباين إذ يأتي الاستعمال السكني بالمرتبة الأولى . حيث يمثل السكن المحاولة الأولى للإنسان في التفاعل مع البيئة والسيطرة عليها وينظر الى الوظيفة السكنية في مدينة البصرة باعتبارها من الوظائف الأساسية التي تشترك مع الاستعمالات الحضرية الأخرى والسيطرة على مساحة الارض الحضرية . لذلك نجد ان الاستعمال السكني يسيطر على الحصة الكبرى في منطقة الدراسة لـ ٥٠ % من المساحة العامة للمدينة . وعند مقارنة النسبة المخصصة للاستعمال السكني في المدينة مع النسب المخصصة في مدن متعددة نجد ان النسبة مرتفعة نسبياً إلا أن الدراسات التي أجريت بهذا الصدد قد دلت أن هذا الاستعمال السكني يحتل في المعدل بين ٣٠% - ٤٠% من المساحة المعمورة في المدينة (حسين ، ١٩٧٧ ، ص١٣٣) بينما توصل بارثليميو من دراسة ٣٥ مدينة أمريكية بان الاستعمال السكني يسيطر على ما معدله ٣٩٥ من المساحة المعمورة (الهيتي ١٩٦٧ ، ص٩٢) وترتفع نسبة هذا الاستعمال في المدن العربية عموماً نتيجة الامتداد الأفقي في البناء فتحمل ٦٧% من مساحة الحيز الحضري لمدينة عمان و ٣٩% من مساحة مدينة دمشق (الحاك ١٩٨٥ ص٢٥)

جدول رقم (٥)

نسب استعمال الأرض الحضرية في مدينة البصرة لعام ٢٠٠٣

| ت | الاستعمال | % |
|---|--------------------------------|-----|
| ١ | السكنية | ٥٠ |
| ٢ | الصناعية والتخزين | ٩,٢ |
| ٣ | الثقافية (التعليمية المختلطة) | ١,٥ |
| ٤ | التجارية | ١,٢ |
| ٥ | الصحية | ٢,٠ |
| ٦ | الترفيهية | ٢٣ |
| ٧ | استعمالات خاصة (طرق وسكك أخرى) | ٥,١ |
| ٨ | مناطق فارغة (غير مستخدمة) | ٨ |
| | المجموع | ١٠٠ |

المصدر/ محافظة البصرة التخطيط العمراني ، بيانات غير منشورة لعام ٢٠٠٣

وتتميز مدينة البصرة بأن الوحدات السكنية ذات المساحة الكبيرة تنتشر وتزداد باتجاه الأطراف كما هي موجودة في حي الربيع وخالد بن الوليد وعمان والكرامة والمغل والمن الداخلي والضابط والمهندسين والبلديات والفيحاء والعباسية وصنعاء والميثاق والرافدين وبريهة والخليج العربي ، ام المساكن ذات المساحة القليلة فتزداد بالقرب من وسط المدينة كما هي الحال في حي الصمود والتنيمية وعتبة بن غزوان والجمهورية وتتفاوت أنواع مواد البناء المستعملة والتصاميم المعمارية ذات المواصفات التخطيطية في أحياء منطقة الدراسة حيث نجد ان الصفة المميزة للمساكن الواقعة في وسط المدينة بالطابوق أو البلوك والأسقف بالشيلمان أو الأسمنت المسلح وهذا ما يتفق وطبيعة الأحياء الشعبية في المدينة. والتي تضم اكثر من اسرتين وهذه الفئة تضم خليطا متافرا من النواعيات سواء بالنسبة للهندسة المعمارية ومادة البناء أو المستويات الاجتماعية والاقتصادية للسكان كما أنها توجد في كل أجزاء المدينة

في المنطقة الوسطى أو على الأطراف، أما الأحياء الراقية والتي تبنى بالموصفات الهندسية المطلوبة والمساحة الواسعة للوحدات السكنية التي تتراوح ما بين ٢٣٠٠-٢٦٠٠م^٢ وهي مساكن فسيحة تحيط بها الحدائق الخاصة وترتبط بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي المرتفع للسكان وتمتاز بانخفاض درجة التزاحم او نسبة عدد السكان إلى عدد الغرف وتكون نوعية المباني من حيث مادة البناء أو الهندسة الداخلية والمظهر الخارجي ممتازة.

وتأتي الوظيفة الترفيهية بالمرتبة الثانية والتي تشكل نسبة ٢٣% من المساحة العامة والتي تحتوي على مناطق الحدائق العامة وملاعب الرياضة ودور السينما والأندية الرياضية والمراكز الثقافية وغيرها ويشمل الاستخدام الصناعي حيزا داخل المدينة ٩,٢% من المساحة العامة وهي مؤسسات صناعية خفيفة الا انها تشكل مصدر للتلوث وتحلل استعمالات الارض لأغراض خاصة كالطرق وسكك أخرى نسبة ٥,١% من المساحة العامة بينما يشمل الاستخدام التجاري جميع المناطق التجارية وخاصة المكان المركزي للمدينة واسواق الأحياء والمحلات التجارية العامة التي تنتشر داخل المدينة. بينما الاستخدامات الوظيفية الأخرى تظم المساحات الخالية والتي لم تستغل بعد شكلت نسبة ٨% من المساحة العامة للمدينة.

لان طبيعة المساحات المختلفة لاستخدامات الأرض الوظيفية في مدينة البصرة ترتبط مع بعضها مكونة وحدة وظيفية متكاملة وطبيعي ان ما تحتله كل وظيفة من الأرض يحدد بالتوسع الحضري للمدينة وان هذه الوظائف تلبي حاجة ومتطلبات سكان مدينة البصرة نفسها والمناطق المحيطة بها ومناطق اخرى وتتباين اعداد العاملين بين وظيفة واخرى تبعا لنوع الوظيفة واهميتها للأفراد وحجم المستفدين منها والمجال الذي يمتد نفوذه اليه. والمساحة التي تشغلها من ارض المدينة وهذا يؤكد حقيقة بان الوظيفة هي المبرر الاساسي لوجود المدينة ومحدد نمط الحياة فيها. ولما كانت الوظيفة متداخلة ومتشابكة كان لا بد من عزلها لتحليلها لكل على حدة (حمدان ١٩٦٠ص ١٧٤-١٧٧) وبالنتيجة فهي تدل على وجود علامات بين مختلف اصناف استعمالات الارض التي تشكل الهيكل العام للمدينة.

النتائج :

يعد السكان من حيث حجمهم ونموهم وبناهم المختلفة من المقومات الأساسية لحياة المجتمع وتطوره فهناك ارتباط بين السكان من جانب وقضايا التخطيط والتنمية من جانب آخر، فالوعاء السكاني هو المنطلق الرئيس للتخطيط . كما انه يشكل هدف التنمية بإبعادها المختلفة. الا ان الملاحظ من خلال البحث الحالي لمدينة البصرة ان مستوى التخطيط العمراني لا يتماشى مع أصول وقواعد التخطيط المعروف عالميا. حيث ان التخطيط العمراني للمدينة جاء كظفرة لم تراعي في كل الأوقات حاجات السكان المتزايدة الناجمة عن معدلات الزيادة السكانية المرتفعة في المدينة ، كما وان الظروف التي مرت بها مدينة البصرة بصورة خاصة والعراق بصورة عامة من حروب وحصار اقتصادي قد لعبت دورا في إظهار هذا الاختلاف والتخطيط الغير علمي من قبل الجهات المسؤولة عن الجانب العمراني والتخطيطي للمدينة مما انعكس سلبيا على المظهر العمراني للمدينة ويشمل ذلك بصورة رئيسة في استعمالات الأرض الحضرية للمدينة حيث تضم مساحات ذات استعمالات متباينة وبنسب مساحية متباينة كذلك. الا ان الباحث تطرق الى الوظيفة السكنية لكونها المؤثر الرئيسي على التخطيط العمراني للمدينة حيث تضم أحياء مدينة البصرة مساحات مختلفة ومتباينة من المساكن وتمثل المساحة المبنية ٥٠% من مجموع المساحة الكلية للمدينة غير ان توزيعها بين الأحياء يتسم بالتباين والاختلاف غير ان هناك عوامل تؤثر في خصائص المسكن مثل الموقع والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للسكان والعامل الديموغرافي فهناك مساكن مبنية منذ عام ١٩٢٥ وبعدها مساكن شيدت في السنوات ما بعد ١٩٦٠ الا انها تميزت بالطابع العمراني العشوائي وغير المنظم ومساحة لا تزيد عن ٢م^{١٠٠} في حين نجد ان معظم المساكن تتميز بمظهر معماري حديث وبمساحات واسعة ومبنية من مواد بناء حديثة وذات مساكن مستقلة كما في الأحياء الراقية في مدينة البصرة.

الا ان الملاحظ على الوحدات السكنية في المدينة انتشارها ونموها الأفقي اكثر من التوسع العمودي مما يتطلب على الجهات ذات العلاقة بالتخطيط العمراني الزيادة في الاستعمال السكني في المناطق الفارغة في المدينة والتي لم تستثمر لحد الان . فضلا عن التوسع في السكن العمودي الى جانب السكن الافقي لاستيعاب الزيادات الحالية والمستقبلية للسكان.

المصادر

- ١- حسين، عبد الرزاق عباس. جغرافية المدن. - بغداد: مطبعة اسعد، ١٩٧٧.
- ٢- حمدان، جمال. جغرافية المدن. - بغداد: مطبعة البيان، ١٩٦٠.
- ٣- الخريف، رشودين محمد. "تطور الخصائص التعليمية للسكان في المملكة العربية السعودية". مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية. - س٢٤ ع٢٠١، ٢٤.
- ٤- العثمان، باسم عبد العزيز. "سكان البصرة في نصف قرن: دراسة جغرافية" مجلة كلية الآداب. - ع٢٠٢، ٣٥.
- ٥- محافظة البصرة. التخطيط العمراني. - بيانات غير منشورة، ٢٠٠٣.
- ٦- مديرية بلدية محافظة البصرة. الشعبة الفنية. - خارطة البصرة الإدارية.
- ٧- المظفر، عبد المهدي سليم. "عوامل التوسع الحضري في مدينة البصرة". مجلة كلية الآداب. - ع١٩٩٦، ٢٥.
- ٨- موسى، ماهر يعقوب. التحليل الجغرافي للوظيفة السكنية لمدينة البصرة ١٩٧٧-١٩٩٦. - أطروحة دكتوراه. جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٧.
- ٩- الهيثي، صبري فارس، وحسين صالح فليح. جغرافية المدن. - جامعة الموصل: دار الكتب، ١٩٨٦.
- ١٠- هيئة التخطيط. الجهاز المركزي للإحصاء. مركز الحاسبة الالكترونية. بيانات غير منشورة. - بغداد: ١٩٩٧.
- ١١- هيئة التخطيط. الجهاز المركزي للإحصاء. نتائج التعداد العام للسكان ١٩٩٧، محافظة البصرة. - بغداد، ٢٠٠١.
- ١٢- هيكل، حامد تركي. تغير النسيج الحضري لمدينة البصرة في القرن العشرين. - رسالة ماجستير. جامعة بغداد، مركز التخطيط الحضري والإقليمي. بغداد، ١٩٩٠.
- ١٣- وزارة الداخلية. مديرية النفوس العامة. إحصاء السكان لعام ١٩٤٧. - بغداد.
- ١٤- وزارة التخطيط. الجهاز المركزي للإحصاء. نتائج التعداد العام للسكان ١٩٧٧، محافظة البصرة. - بغداد، ١٩٧٨.

- ١٥- وزارة التخطيط. الجهاز المركزي للإحصاء. نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٨٧، محافظة البصرة. بغداد، ١٩٨٨.
- ١٦- الجلي، صبيح عبد الحسين. "الحراك الاجتماعي واثره في النسيج الحضري". مجلة البحوث الجغرافية. - ع ٢٠٠١.